

هو.. و"الإمارة":

- وحيد من الخلان في كل بلدة - ..إذا عظم المطلوب قلّ المساعد
نقول/ ..ربما خانه ذكاؤه - الجاف - لعدم استخدامه له .
ف (لو^(١)).. مثلاً نسي علويته^(٢) "النسب لعلي رضي الله عنه" ..
أو: لأن^(٣) لمن حول "بدر بن عمار" ..،
أو تنازل عن بعض الشموخ - الذي لم يكن لمعظمه داعٍ - والغرور عند
سيف الدولة، ليكسب -..على الأقل - نُدبائه..
أو مثل علي كافور - وهو قادر على ذلك - أبين تمثيل،.. لربما نال
مطلبه، وبلغ أربه، لكن كما قال هو:

(١) -..مع التذكير/ بأن "لو" تفتح عمل الشيطان! كما في الحديث الذي رواه مسلم
(رحمه الله) في صحيحه -

(٢) وعلى هذا عبّر عن الصول.. لذلك بـ:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ ل طول ما التتموا كأنهم مُسرّدٌ

(٣) اللين سلاحٌ قليل من يدرك مدى مفعوله، كما في معنى قوله صلى الله عليه وسلم (إن

الله رفيق يحب الرفق) رواه البخاري،.. وقد قال الراجز:

بُنِيَّ إِن السِّرَّ شِيءٌ هــيْنٌ وَجِءٌ طَلِيْقٌ وَكَلَامٌ لِّيْنٌ
والمثل الهندي (السيف يقتل مرة، واللفظ يقتل مئة مرة).

بل إن شاعرنا يدرك هذه المعاني،.. بقوله لأميره الحمداني:

تَرْفِقْ أَيُّهَا المَوْلَى عَلَيْهِمُ إِن السَّرْفِقَ بِالْجَانِي عِتَابُ
أو قوله:

وما قتل الأحرار.. كالغفو عنهم..، إلخ..

وأسرع مفعول فعلت تغيراً تكلف شيء في طباعك ضده
لهذا لم يقل من فراغ - أو للنظم.. فقط - :

وفؤادي من الملوك ، وإن كا ن ، لساني يُرى من الشعراء^(١)
بل كان يعي ما يقصد.. ويلمّ بما يرمي له، عند إذ قال كافور - بعد
فهم وإدراكٍ لرمي هذا البيت في نفس المتنبي:-

(من يدّعي النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم.. ألا يدّعي الملك بعد
كافور .. فحسبكم).^(٢)

و"المتنبي" استخدم ذكائه بكل حاجة.. سوى أعزّ المنى^(٣) "الإمارة".
ف.. هل يضيره أن يلقي بلسان معسول ووجه بشرٍ مبذول -على
الأقل- ليصل إلى الهدف؟!، أما قال "مُخاطباً ذاته":

تُرِيدِينَ إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من إبر النحل
فلا يجب أن يستنكف^(٤).. ليلبغ المأرب، وينال المطلب..، ويحظى بما
يرغب..

(١) .. وأخذ نزار قباني.. باطن هذه النفحة بقوله:

لا ييوس اليدين شعري.. وأحرى بالسلاطين أن ييوسوا يديه

(٢) على ما في هذه الرواية من ضعف - لأن سندها بالنبوة ضعيف (انظر ما تقدم ص ٢٤
هامش ١) - ، إلا أن ذكرها ميلاً على ما وُصم به "الشاعر".

(٣) يقول "كنجلي": بعض الرجال لديهم جميع المواهب، .. ما عدا موهبة استعمالها..
والانتفاع بها - أي تلکم المواهب! -

(٤) .. أو يتكبر.

أبا المسك^(١).. هل في الكأس فضلٌ أناله فإني أُغني منذُ حين.. وتشرّب
إذا لم تُنطُ بي ضيعة أو (ولاية) ..فجودك يكسوني، وشغلك يسلبُ
ألم يسّطع صبراً على (إبر النحل) - كما مثلها - للوصول.. إلى المعالي^(٢)؟
..لنعد "تفسيراً" لنفسه التي لم يُحمّلها - حتى - وخز إبر النحل ليلبغ
مناه، الذي صال وجال - وأنشأ الأمثال -.. عسى أن يتقلّده:
أولاً:

المتنبّي يبيّز لنا أن نقول - ومما تقدم - "بالتعبير الشائع" أنه مُعقّد^(٣)..، كيف؟
.. بقراءة أي كتاب عنه - ..بل من معظم الشكوى في شعره^(٤) -
يلمس القارئ بوادر ذلك!
فهو إنسان مُتعالٍ يبحث عن المعالي - الإمارة - بلا مُصانعة.. كما قال
زهير - في حِكمه - :
ومن لم يُصانع^(٥) في أمورٍ كثيرة يُضرسُ بأنياب ويُوطأ بمنسم^(٦)

(١) يعني "كافور".

(٢) قال "قوقارس" مُعرّفاً: (الصبر.. هو فن التشبث بالآمال).

(٣) ..اعترض يادب.. الأديب عبد الله خياط - عكاظ عدد ١١٨٤٢ - على وصفني:

"عقده" - في (الطبعة الأولى) -، وأسمها طموحاً.. ثم استشهد بقول (ابن ميادة):

منى إن تكن.. تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زماناً رغداً

(٤) - ألم يملأنا، ويولتنا.. بقوله:

ألا ليت شعري، هل أقول قصيدة فلا أشتكى فيها.. ولا أتعجب؟!

(٥) أي: يداري.

..حتى إنه أحياناً يهدم بعض ما يبني^(١) - وبالتأكيد دون أن يدري-..^(٢)
فمثلاً عند "كافور" .. يمدحه باللفظ ويهجوهُ بالمعنى^(٣)، وهذا إدراكاً
متشبع من قوله:^(٤)

...
^(١) فما البال.. وهو يطلب الإمارة..، ألا من الأحرى كل المصانعة.. هنا.

ف كما قال أحمد شوقي: (وما نيل الطالب بالتمني)!!

^(١) فهو - كأقرب وصف لحاله -: كالتبّت، لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى (.. كما جاء
في الحديث).

^(٢) وليس استخفافاً بذكائه، أو تقليلاً من دهائه.. بل ربما يغلبه اعتزازه بذاته، أو يطغى
عليه كبريائه.. ونفحات افتخاره.. التي لا تفارقه-انظر ما تقدم (ص ٧٠) وما بعدها-

^(٣) لذلك يقول ابن جني - من رواة شعره -:

قلت للمتنبي ما زدت إن جعلت كافور الإخشيدي أبا زنة (وأبو زنة كنية القرد) فضحك
المتنبي ولم يقل شيئاً، أي أنه وافقه!!

وقد قال التوحيدى وابن جني وابن الخطيب من أن المتنبي يهجو كافور في قصائده التي
يضمها مدحاً.. من ذلك:

وما طربى لـ رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فـأطرب

-..والملوك لا يمدحون بأن الإنسان إذا لقيهم طرب..، لكن بالهيبه والتقدير.!

وانظر في القصيدة الأولى قوله: - تجد/ يمدحه باللفظ ويهجوهُ بالمعنى! -:

قضى الله يا كافور أول وليس بقاضٍ من أن يرى لك ثانٍ

^(٤) من قصيدة يذكر بها خروج (شبيب) ومخالفته كافوراً:

عدوك مدموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران

- قال العكبري في شرح هذا البيت: القمران: الشمس والقمر، تغليماً لأحدهما على

...

وقد يتقارب الوصفان جداً وموصوفاهما متباعدان
رغم علمه بدهاء كافور، وإدراكه لذلك الهجاء^(١) - أو لنقل السلاح^(٢) -
ثم يتمنى منه الولاية..

وفي النفس حاجات وفيك فطانةً سكوتي بيان عندها.. وخطاب
ولم يقف عند هذا..^(٣)، بل حينما قدم أبو شجاع استأذن من كافور

-...-

الآخر، كقولهم: العمران، أبو بكر، وعمر بن الخطاب. والمعنى: قال الواحدي،
يقول: من عاداك دل على جهالته، وسقطت منزلته عند الناس، وعاداه كل أحد
وذمه، ولو كان من أعدائك القمران، لصارا مذمومين مع عموم نفعهما -

^(١) كقوله في قصيدة "الحمى" - وهو في.. كنفه -

ولما صار ود الناس خياً جزيت على ابتسام.. بابتسام
وصرت أشك في من أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام
وبسط مراد البيت الأول..، قول ابن رشيق:

زُبّ تقضيبٍ من غير بغض وبغضٍ كما من تحست ابتسام

^(٢) .. ألم يعترف بذلك - فيما بعد - بقوله.. وشعراً قد مدحت به "الكركدن" .. إلخ

وقد فسر البحري - من قبل - هذا المنحاح:

ولم أحابك* في مدح تكذبه بالفعل منك، وبعض المدح من كذب
* أي: أسايرك.

^(٣) ولعل الأدهى من كل ذلك، رمي الشاعر - في أول لقاء مع كافور - بهذين البيتين*..

حزناً ولوعة وحرقة على فراق الأمير الحمداني - دون وزن.. لمقام هذا "الحاكم":

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسب الناي أن يكن أمانياً
تمنيهاً لما تميت أن ترى صديقاً فأعياء.. أو عدواً مداجياً

-...-

مدحه^(١) وهذه سقطة من الشاعر^(٢).

وعودة إلى قصة مدح أبي شجاع (فاتك المجنون)،^(٣) يُستنتج منها عدم رضا كافور منه.. ولا يُعذر أبو الطيب لأنه يأس من نيل المطلب، فهذا

...

- (*) وما يذكر به البيتان إلا بقوله تعالى - على لسان أهل النار - : ﴿يا مالِك ليقضي

علينا ربك.. الآية﴾ أي يتمنوا من شدة العذاب "الموت".. وما هم ببالغه -

وإن كان - اعتذاره الخفي - ما أحاده في ختام القصيدة (السالفة):

وتحضر الدنيا احضار مجرب يرى كل ما فيها وحاشاك فانيا

وهذا - أديباً - يُعتبر قلة أدب في التعامل مع "لكل مقام مقال"

- ولهذا.. فقد زجر عبد الملك بن مروان شاعره "جرير" - مع أنه كان يُخاطب نفسه -

حين قال:

أتصحوا أم فؤادك غير صاح

إلا أن أبا الطيب عاد.. - بعد - لئنشئ..

فراق ومن فارقت غير مذمم وأم.. ومن عمت خير ميمم

(١) مطلع القصيدة:

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

-.. ويذكر هذا الإنشاء بقول سليمان ذي الدمنة:

ومن لا يؤاتيه على الجود وجده فبان (جميل القول) إحدى الخامد

بدلك أوصاني أبي عن جدوده وأوصوا بذاكم عن بكيل وحاشد -

(٢) - فإدراك المقصد/ أن يستأذن، يُفهم المراد من قول: "سقطة" (*) -

(*) .. بالطبع/ إذا صح ما ذهبنا إليه.

(٣) وفاتك - هذا - رومياً أسر في فلسطين، وأخذه "كافور" من سيده بـ "الرملة" .. وقربه إليه،

وجعله في بطانته ثم خافه لما رأى من شجاعته، وكرمه، وإقبال الناس عليه..

...

إن كان حقيقياً في نفسه..، لا يجوز له مدح من لا يريد كافور أن
يمدحه..

فالأصل أو لنقل: لو أن أبا الطيب استخدم فطنته فمدح أبا شجاع ضمن
سياق يكون مبنياً بمدح كافور - لأنه شاعره - على الأقل أمام الجمع..
ليحظى بتقدير الأمير لشخصه، ويسوغ عندها الطلب..، فإذا كان كافور -
كما قال المتنبي - أدراك الملك، بـ (أيام يُشبن النواصيا^(١))، فكيف وشاعرنا
مثله لم يرث شيئاً!، يستكثر.. "الصبر" فقط^(٢).. دون المأرب^(٣).

...

قال شاعرنا - يرثيه -:

أين منيته من بعد منيته
.. لا فاتك آخر في مصر نقصده
- ولما لا..!، ألم يقل .. فيه:

قلّك الحمد حتى ما لمفتخر
في الحمد حاء ولا ميم ولا دال -
^(١) وليس كما قال الآخر:

ما زال يسبق.. حتى قال حامده:
أي أن الحماد يريدون طمس هذا السبق ونسبته إلى سهولة أو يسر الطريق،.. لا إلى
سالك الطريق.

^(٢).. فهل غاب عنه قول أمية بن أبي الصلت:

اصبر النفس عند كل ملهم
إن في الصبر حيلة الخصال
^(٣) أين قوله - مخاطباً مهجته -:

تريدين إدراك المعالي رخيصة
ولا بد دون الشهد من إسر النحل

ثانياً:

الغرور - العظمة - الكبرياء..^(١)

- أين فضلي إذا قنعت من الدهر بعيش مُعجَّل التكيّد -
النفس الأبية.. التي كأنها من سلالة إمبراطورية ينتظر دوره.. بولايتها..
أما غرور المتبي فهذا لا يُختلف عليه كثيراً، إذ هو بادٍ: من قول أبي فراس
الحمداني^(٢) له.. "ومن أنت يا دعيُّ كِبِه" - كمثل حيٍّ وكافٍ على غروره-^(٣)
..أما (الكبرياء) فيكفي "شاهداً" بيته البارز كبرياءً:

أبدو.. فيسجد من بالسوء يذكرني فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً
فهو لم يقف على "الصفح" الذي من شيم المحسنين^(٤)، بل بدأها بسجود
"المعتذر" ثم يتبع صفحه استهانة بمقام ذلك المعتذر..، وإهواناً له..

^(١) وقد توعد رسولنا صلى الله عليه وسلم "العائل المستكبر" -العائل: الفقير- بـ وعيدٍ
شديد. حيث قال:

(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يُزكّهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ
زان، ومملكٌ كذاب، وعائل مستكبر). رواه مسلم.. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^(٢) ..مع أنه داعٍ قول (أبي فراس) هو من باب/ المنافسة - أو تماثل المهنة - انظر ما تقدم
هامش (١) ص ٨٣ -..وذلك جواباً على قوله:

(أنا) الذي نظر الأعمى إلى أدبي.. إلخ -

^(٣) راجع ميميته الشهيرة "عتابه لسيف الدولة".

^(٤) قال إمامهم حبيبتنا محمد صلى الله عليه وسلم - من حديث (أوصاني ربي) -:
(...وأن أعفو عن ظلمي، إلخ).

ثم يُقيّم (ذاته)^(١) .. مِمَّن ذمّه .. بالنقص:

وإذا أتتك مذمتي من (ناقص) فهي الشهادة لي بأني كامل
وبعد كل هذا يؤطر هذه "القاعدة":

خليلك أنت .. لا من قلت خلّي وإن كثر التجميل .. والكلاما
وأما عظمته .. فمن تمجيده لذاته^(٢) يتضحُ تعاضمه .. كقوله:

تغرب لا مُستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالفه حكماً
و.. النفس "الأبية":

ليس التعلل بالأمال من أربي ولا القناعة بالإقلال من شيمي
و..:

ذلّ من يغبط الذليل بعيش رُبّ عيشٍ أخفُّ منه الحمام
و..:

يقولون لي: ما أنت في كل بلدة وما تبغي؟ ما أبتغي جلّ أن يُسمى
ثالثاً:

لا يستقر على حال أو على مبدأ يصول من أجله أو يسعى لنيله.
- أو على قاعدة:

أتمنى أنني لا أتمنى فلقدمت بآمالي مُعنى -

(١) .. قالت العرب: ثلاث مهلكات: شحّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه.

(٢) /...

أسري في ظلام الليل وحدي كأنني منه في قمرٍ مُنير

فساعة يدّعي العلوية..^(١) ويُطالب بها - حتى نُفّر من دخول الكوفة^(٢)
- ما كنت أول من جنب ركائبه شوقاً.. وفارق إلفاً غير مختار -
وساعة يُطالب عودة الملك "للعرب"، ليستعيدوا عزّتهم.. وأخرى
يُطالب بولاية أو إمارة.^(٣)
رابعاً:

الحزن.. البكاء^(٤).. الحرقه.. كلها بمعنى واحد، وذات دلائل متوحّدة في ذاته^(٥)..

(١) النسب لعلي رضي الله عنه.

(٢) راجع أسباب منعه دخول الكوفة حين رغبت جدته رؤيته، ولعل رثاءه لجدته مضمور
به شيء من ذلك، بل .. وقال عمّا أصابه بسبب ذلك:

أذاقني زمني بلوى شرقت بها لو ذاقها ليكي ما عاش وانتجا
وأيضاً:

سأطلب حقي* بالقتل ومشايخ كأنهم من طول ما التتموا مُرد

(*) وهذا الحق: هو "انتسابه للعلوية" - كما أسلفت.. أعلاه -

.. ونسمع ترنيمة - بعد تجاربٍ أخذت منه ما أخذت ! - مُعترفاً..

حتى رجعت وأقلامي قوائيل لي: المجد للسيف،.. ليس المجد للقلسم

(٣) أقل.. القليل بنظره لهذا المطلب "الأخير". كقوله لكافور:

وفؤادي من الملوك وإن كان لسانني يُرى من الشعراء

(٤) - وكان أبو فراس.. يعبر عن كامنه حين قال:

إذا الليل أضواني.. بسطت يد الهوى وأذلت دمعاً من خلائقه الكِبْرُ -

وقال أبو سلمى - .. كأنما يعنيه -:

كيف تبكي، وهل هناك دموع ذهب الصحب والهوى.. والريغ

(٥) كقوله.. مُخاطباً (عهده):

-...

وعندي دموع لو بكيت ببعضها لفاضت بحور بعدهن بحور^(١)
.. ولذا / رمى هذا البيت:

أذاقني زمي بلوى شرفت بها لو ذاقها لبكى ما عاش وانتجا^(٢)
ولو أردنا .. أن نستلهم له ميرر - عن هذه المعاناة - لأخذنا قول
محمود سامي البارودي - في محنة نفيه - مُعبراً:
عناءً ويأس، واشتياقٌ وغربةً .. ألا شدّ ما ألقاه في الدهر من غبنٍ
(وقفة):

-..ومن وراء.. ماسبق- تحكم بحياة شاعرنا شيثان مهمان:

١/ ثورة داخلية في نفسه تدفعه إلى نقد كل شيء^(٣) - بدون مبالغة -
بنظره ومقياسه "لهذا الشيء المنقود".

عذوي كل شيء منك حتى خللت ألاكم موغرة الصدور
^(١) أبو بكر الشبلي.

^(٢) ..وتجده من بعد.. يُنشئ:
وقلّة ناصرٍ جوزيت عني بشرٌ منك يا شرّ الأهور
- أوضح "العكبري" بأنه دعا على دهره، وهو زمنه الذي لم يجد فيه من الناس من يعنيه
ويساعده على ما يريد، بأن يتلى دهره هذا بدهر أحسن منه وأشر.

لكن نيين: أن سب الدهر مذموم كما سيأتي - هامش ٢ ص ١٣٠-، إنما العذر الذي
نجدّه/ ربما يقصد ظروفه، وتقلب أحواله... إلخ.

- حتى قال...: (١)

قُبْحاً لَكَ يَا زَمَانَ (٢) فَإِنَّ لَكَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ قَيْحٌ يَرْقَعُ..-

٢ / حقه.. من ماذا: ربما من حاله ووضعه، أو من تسبب به!!

..ولو بالغنا لاستعرنا له قول المعري:

هَذَا مَا جَنَاهُ عَلَيَّ أَبِي، وَمَا جَنَيْتَ عَلَيَّ أَحَدٌ

فَهَاوِذَا يَزْفِرُ.. بمبالغة - كعادته-:

مَنْ لَا يَرَى فِي الدَّهْرِ شَيْئاً يُحْمَدُ (٣)

....

(٣) ألم يقل - كأنه يُثبت -:

تُخَالِفُ النَّاسَ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ إِلَّا عَلَى شَجَبٍ، وَالْخَلْفَ فِي الشَّجَبِ (*)

لقيل: تخلص نفس المرء سالمة، وقيل: تشرك جسم المرء في العطب

(*) الشجب: الهلاك -

وهذا من الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة - كما قال الثعالبي - "اليتيمة"

١/١٧٢-...، وانظر (ص ٧١) أمراء الشعر العباسي لـ (أنيس المقدسي).

(١) من قصيدة في رثاء "فاتك المجنون".

(٢) ويعلم المسلم أن ذمّ الزمان منهى عنه!

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى: يسُبُّ بنو آدم الدهر وأنا الدهر بيدي

الليل والنهار) الحديث - رواه البخاري.

(٣) ومعنى البيت فسره أحمد شوقي.. بقوله:

يَا نَفْسُ ذُنُوبِكَ تُخْفِي كُلَّ مَبْكِيَةٍ وَإِنْ بَدَا لَكَ مِنْهَا حُسْنٌ مَبْسُومٌ